المستشرق ميكلوش مورالي وتحقيقاته لكتب السادة المالكية

جزء "تفسير القرآن" و كتاب "المحاربة" لابن وهب المالكي نموذجا

- دراسة نقدية لنقد الأستاذ تامر الجبالي عليه -

الأستاذ: عبد الغاني عيساوي

معد رسالة دكتوراه وباحث في التراث التفسيري لعلماء الجزائر

كلية العلوم الاسلامية جامعة الحاج لخضر بباتنة

حينما أتم المستشرق الروسي "كراتشكو فسكي" كتابه الموسوعي: "تاريخ الأدب الجغرافي العربي"[1] علّقت الدكتورة عائشة بنت الشاطئ عليه بالقول:"إننا مدينون للمستشرقين بجمع ذلك التراث وصونه من الضياع، ونسألهم: وماذا لو تركوا تراثنا لنا، أما كنّا أهلاً لجمعه وصونه ؟ فأجيبكم على يقيني: كلا... لقد كنّا في غفلة عنه، لا نكاد نحسُّ وجوده أو نعرف قيمته، أو نقدر حاجتنا إليه. إن خُدّام دور العبادة عندنا يبيعون أوراق نفائسه بالكوم (بالجملة) لتجار الحلوى والبقول!".

و تضيف قائلة: "...إن جهود هؤلاء لم تقف في جمعهم لكتب تراث الشرق على مجرّد اقتنائها، بل فهرسوا ما جمعوه فهرسة علمية دقيقة،ومن ثم انتقلوا إلى نشره نشرا يعتمد على أدق منهج للتوثيق والتحقيق...وصحونا من نومنا، فإذاألوف الذخائر العربية بين أيدينا، محرّرة، مُوثّـــقة، نلوذ بها في دراساتنا العالية، و نعد الرجوع إليها فيأبحاثنا مدعاة للفخر والمباهاة، وبلغوا في دراساتهم للشرق وللعربية وللإسلام حدّاً مذهلاً من العمق والتخصص"[2].وعن شخص المستشرق "كراتشكو فسكي" قالت: "... من الإنصاف أن أقرر – بتقدير صادق – أن هذا الكتاب يحمل أثر جهد شاق صابر، وثمرة عملٍ مخلصٍ دائبٍ، استغرق نحو ثلث قرن من الزمن، أمضاه الأستاذ «كراتشكوفسكي» في جمع مادته الخصبة عن تاريخ الأدب الجغرافي للعرب"[3].

وحينما أراد تدوين ملاحظات هامة على هذا العمل الموسوعي قال: "... وفي كتاب «كراتشكوفسكي» أقوال خاطئة عن الإسلام والقرآن الكريم، نخالفه فيها ونؤاخذه عليها بمنطق العلم، واعترف مع ذلك بأنه من أحرص المستشرقين على ضبط قلمه من جماح الهوى وضحل التعصب، ولعل الذي في كتابه من مآخذ لا يخرج عن كونه أخطاء لا ينجو من مثلها دارس بتخصص في غير لغته، وينظر في نصوص دينية متأثرًا بموقفه من الأديان ورأيه في إلهية كتابها "[1].

بهذا الوجازة والرجاحة في العقل والإنصاف يمكننا القول بأن الدكتورة عائشة قد رسمت منهجا خاصا وفريدا في التعامل مع المستشرقين وإسهاماتهم في التراث العربي الإسلامي الشرقي.

وإن المرء ليقف وقفة احترام لها لعظيم إنصافها وجميل أخلاقها مع المخالفين من المستشرقين المشتغلين بالتراث العربي الإسلامي، وأقول "المخالفين" أريد بهم شِقّيّ الخلاف العقائدي، والمنهجي المدرسي في تحقيق التراث، على اعتبار أنهم مدرسة استشراقية في صنعة التحقيق، والعرب مدرسة مخالفة ومميزة لها.

ولا أبعد النجعة إن أسقطت كلام الدكتورة عائشة على المستشرق الدكتور ميكلوش موراني، وبلسانها أقول: أعجب من رجل ألماني الجنسية مجري الأصول، يأتي لتراثنا وأمهات كتبنا، فيعدلها ويُخرِجُها لنا من حاضنات الزوايا والمكتبات القديمة العامة والخاصة، إلى رفوف مكتباتنا الحديثة، فنتنعم بها، ونتلذذ بقراءتها والنَّهل منها، ثم هو بعد ذلك كله يُـــــقرب لنا بعيدَ زمانِ السَّلف ومكانهم وأسلوب كتابتهم وتآليفهم، بل وحتى حياتهم.

وعلى الرغم من بعض النقائص التي تعتري صنعة وعمل الإنسان، مهما كان جنسه أو دينه أو منهجه التَّعَلُّمي ومدرسته الفكرية، أقول للدكتور موراني: **شكرا... فقد أخذت بأيدينا إلى تراث أجدادنا.**

ولن أتطرق لموضوع الاستشراق والمستشرقين والحكم عليهم إيجابا أو سلبا، فقد خاض فيه من خاض وألّف فيه ما ألّف، وهو موضوع يتجدد بين الفينة والفينة، وحلبة الصراع فيه دوما حاضرة.

ولكن فقط لنرد على الذين أصَّلوا لمقولة: "ألا مَن للأقزام- الاستشراق وأهله- بِمَنْ يقنعهم أنهم ليسوا بعدُ إلا الأقزام" ، بأن نقول لهم: بل ليسوا سواء، وعندكم مات الإنصاف.

أولاً: ترجمة ميكلوش موراني، وبيان جهوده في خدمة التراث العربي الاسلامي، والفقهي المالكي خصوصا.

ميكلوش بالمجرية: Miklos اسم مجري، وأصله يرجع إلى الاسم اليوناني "نيكولاوس"، والعموضي في سيرته وترجمته، لم استطع الوقوف على سنة ميلاده، والبقين أنه الآن جاوز السبعين من العمر، وأصوله مجرية ثم نال الجنسية الألمانية، وهو الآن مقيم بألمانيا، ويُدرِّس بجامعة "بون" الألمانية، قسم الدراسات الإسلامية واللغة العربية.

يقول الدكتور موراني متحدثا عن نفسه: ((قضيتُ ثلاثةً وأربعين عاماً في هذه الدراسات، منها عشرة أعوام طالباً في الجامعات، ولم أنقطع عن الدراسة إلا عامين فقط، وقد كانت بداية الدراسة صعبةً؛ إذ كانت هذه الحضارةُ غريبةً عليَّ، كما كانت المعايير الدينية غريبةً أيضاً، إلى جانب صعوبة دراسة اللغة.

وقد تغيرت الأحوال عند لقائي الأول والمباشر بهذه الحضارة ، وبهذا المجتمع الآخر أثناء إقامتي الأولى في مصر. لم أبحث عن العلم والدرس في كلية الآداب في جامعة القاهرة، بل أردت أن أقترب من هذا المجتمع اقتراباً مباشراً ؛ لكي أفهم طريقة تفكير الناس ولكي أفكر كما يفكرون. لم أحضر المحاضرات في الكلية إلا من حين إلى آخر، وقضيتُ أغلبَ أوقاتي في جوار الأزهر مع تجار خان الخليلي، وقضيت معهم الأيام من الصباح حتى ما بعد العصر، وكانت لهذه اللقاءات المتواصلة ثمراتها من ناحيتين:

أولا: فهمتُ لهجة الناس، وأصبحتُ ملازماً لهم في الحديث اليومي.

ثانياً: تعرفت على وفاء هؤلاء الذين صحبتهم في القاهرة ، حيث جئت زائراً لهم بعد اثني عشر عاماً ، وعندما دخلت السكة في الحارة التي كنت أتجول فيها يومياً قام التاجر الفلاني من كرسيه ، وقام الآخر ، والثالث ورحبوا بي، وسلَّموا عليَّ باسمي وهو بلا شك غريب عليهم لأنه اسم (خَواجة)، وسلَّموا عليَّ كأنني فارقتُهم بالأمس. فهنا أخاطبكم جَميعاً : مَنْ يبحث عن هذا الكرمِ وهذا الوفاءِ في المجتمع الغربي فإنه يبحث عنه بلا جدوى ! هكذا كان اللقاء الجديد، ليس مع التجار فحسب بل ببعض طلبة الأزهر أيضاً الذين التقيت بهم في مناسباتٍ عديدة ، حتى أصبحتُ ضيفاً دائماً أيام الجمعة لحضور الخطبة في رحاب الأزهر الشريف حيث سَمحَ لي الخطيبُ حينذاك أنْ أستمع إلى الخطبةِ، وأنا أنتظره في مكتبه أثناءَ الصلاة.

وهناك تعرفتُ على فئاتٍ أخرى من الناس لم أستطع أن أعرفهم في كلية الآداب في الجامعة. وهنا لم يجر الحديثُ حول التأريخ كما جرى في الكلية ، بل حول الحديث النبوي وفهمه أولاً، وبعد ذلك عن التفسير وعلومه. وأصبح من الضروري أن أدخل المكتبة الأزهرية لكي أطلب مخطوطاً في قاعة محمد عبده لقراءته أو للنظر فيه لأول

مرة في حياتي عام 1968م، كانت هذه الخطوات الأولى اقتراباً من هذه الحضارة، وهذا المجتمع المسلم، وهي تجارب لا تُدَرَّسُ في الكليات.

أمَّا الشِّعْرُ فلم يكن لي اهتمامٌ به، غير أنَّ أستاذي في جامعة بون كان متخصصاً في الشعر الأندلسي، وقد عذَّبنا به، وبتراجم الشعراء، وقرأنا عليه الشعر بغير رغبة فيه. وهكذا الأمرُ في الشعر بصورةٍ عامةٍ لا أجدُ ميلاً وتسليةً في قراءته حتى الشعر الكلاسيكي الأوروبي))[6].

ثم إن الرجل جعل جُلَّ اهتماماته تصب في دراسة مصادر الفقه المالكي خصوصا، ولازم المخطوطات القيروانية ملازمة شديدة بحثا وتنقيبا ودراسة،وأصدر كتابه" دراسات في مصادر الفقه المالكي"، يقول الدكتور نجم الدين الحنتالي المدرس بجامعة الزيتونة بتونس: "ويعتبر ميكلوش موراني من الرواد في تناول "النوادر" بالدرس بصفة جدية، فقد خصَّص جلَّ كتابه "دراسات في مصادر الفقه المالكي" للتعريف بالمصادر التي اعتمد عليها ابن أبي زيد في "نوادره"، وقد عرَّف ابن أبي زيد بتلك المصادر في مقدمة كتابه، كما عرَّف بطريقة عمله التي تتمثل في اختصار محتوى تلك المصادر"[7].

وللصلة الوثيقة بينه وبين مخطوطات المذهب المالكي، التي تحسسها وعن كثب في المكتبة الوطنية بالقيروان، والمعهد الوطني للتراث، مركز دراسة الحضارة والفنون الاسلامية برقادة، وعلاقته مع المسؤولين هناك، أمثال الدكتور : مصطفى مراح وغيرهم، نشر وحقق مجموعة من كتب المذهب المالكي.

وله تراث قيم وبصمة كبيرة في ذلك، حيث نشر: أجزاء من كتاب"الجامع" لابن وهب المصري/ وأجزاء منالواضحة لعبد الملك بن حبيب/ تحقيق كتاب:القضاء في البيوع من الموطأ برواية ابن القاسم العتقي/ كتاب: دراسات في مصادر الفقه المالكي... وغيرها من المقالات المبثوثة في المجلات والدوريات العامة والخاصة على المستوى العالمي.

وأختم هذا المبحث برسالة من الدكتور أرسلها لي مشكورا، جاء فيها ما نصه:

السيد عبد الغني عمر المحترم ...أشكر لك على هذا الاهتمام، بدءً أود أنأذكر أن النقد على كتاب المحاربة من جانب الجبالي لم يكن إلا هجوما وبمفرداتوأساليب خارج المتطلبات الأدبية، وذلك دفعني إلى عدم الرد عليه، والسبب الثانيلهذا، كان عدم علمه بالراوي عن ابن وهب وهو يونس بن عبد الأعلى وهو مشهور. أماترتيب الكتاب الأصلي وهو أيضا يتفق وأساليب المالكيين مثل ابن أبي زيد القيرواني فيالنوادر والزيادات وغير ذلك من الأمور البديهية لاينبغي الإطالة فيها.

فيما يتعلق بالسيرة الذاتية فأرجو أن تكتفي بالأهم : حصول على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٤ بحث وتدريس في جامعة بون من ١٩٧٥ إلى ٢٠٠٦ في قسم الدراسات الاسلامية واللغةالعربية . مشاريع علمية حول تاريخ المذهب المالكي من ١٩٧٨ إلى ٢٠٠٢ . المنشوراتالأخيرة : تحقيق كتاب البيوع من الموطأ برواية ابن القاسم العتقي (٢٠١٢) وأجزاء منالواضحة لعبد الملك بن حبيب (٢٠١١) ولك الخير والعافية | موراني.

ثانيا: تحقيق موراني لجزء "تفسير القرآن" من "الجامع" لابن وهب،بيان المنهج المتبع والجهود المبذولة.

كتاب "الجامع الكبير" للإمام ابن وهب المصري المالكي (197ه)، من أبرز كنوز السنة الذي سجل عناية الأمة الإسلامية بحديث نبيها صلى الله عليه وسلم، جمعا وترتيبا وشرحا وتعليقا، ويعد من أقدم المخطوطات الحديثية في جميع مكاتب ومتاحف العالم، إن لم يكن أقدمها جميعا، وقد جاء المخطوط مقسما على مجموعة كبيرة من الأبواب، استفتحها المؤلف بكتاب تفسير القرآن، وحوى كتاب الأنساب، وكتاب الصمت، وكتاب الخاتم، والطيرة والعدوى والهام والصفر والغول، وغيرها من الكتب التي لم يتسن لنا حصرها لفقد المخطوط كاملا.[8]

وقد حُققت مجموعة كبيرة من تلك الأبواب في مذكرة للدكتوراه للطالب: مصطفى حسن حسين محمد، والتي جاءت بعنوان"الجامع في الحديث"، وقد طبعت الرسالة بدار ابن الجوزي سنة: 1996م.

ثم تلا هذا الجهد، جهد كبير للمستشرق ميكلوش موراني، بتحقيقه للجزء الأول من كتاب "الجامع" الذي هو جزء "تفسير القرآن"، وقد صدرت الطبعة الأولى منه بدار الغرب الاسلاميبيروت، سنة: 2003م.

اعتمد في تخريجه لهذه النشرة من الكتاب مخطوطا فريدا ووحيدا، وجده في المكتبة العتيقة بالقيروان، تحمل رقمي: 1781/1779. مكتوبة على رقّ، بخط قيرواني نسخي، مسطرتها:28.

نسخها: عبد الله بن مسرور بن أبي هاشم التجيبي (ت346ه) بالقيروان، غير مؤرخة بتاريخ نسخ محدد، غير أن المحقق رجّح كونها كتبت في أواخر القرن الثالث الهجري، معتمدا في ذلك على تدوين سماع الناسخ عبد الله بن مسرور من شيخه عيسى بن مسكين تلميذ سحنون بن سعيد قاضي القيروان في إمارة إبراهيم بن أحمد الأغلبي، سنة: 290ه.

ولنا وقفة في هذا الاستنباط، حيث أن تصريح الناسخ بالسماع سنة: 290ه، لا يعني كونه كَتَبَ النسخة في هذه السنة، أو في هذه الفترة، خاصة أن تاريخ وفاته كان سنة: 346ه، ويبقى الرأي الصواب تحديد زمانية الكتابة بالقول: من أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الرابع الهجري، والله أعلم.

قدّم الدكتور موراني لكتابه هذا بدراسة وافت الثلاثين صفحة، استفتحها بجهد المستشرق الفرنسي دافيد رويل في نشره لنسخة نادرة من كتاب الجامع لابن وهب، ضمن سلسلة منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، وهي نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية على ميكروفلم برقم: 36818/49325.

كما أشار إلى رسالة الدكتوراه للطالب: مصطفى حسن حسين، والتي كانت تحقيقا لجزء الحديث ولبعض أبوابه، وقد نشرت سنة:1996م، كما أشار بوجه النقد لعمل الدكتور هشام اسماعيل الصيني، في تخريجه لكتاب" الموطأ للإمام عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي" والذي نشر سنة 1999م، عن دار ابن الجوزي أيضا.

وأشار الدكتور إلى وجود أجزاء أخرى غير التي حققها بالمكتبة العتيقة بالقيروان، كجزء علوم القرآن، وجزء كتاب العلم، وجزء كتاب الشعر والغناء، وأشار إلى أنه سيقوم بإخراجها أيضا، وعقّب بالقول: بإذن الله[9].

وتحت عنوان: مؤلف الكتاب، قام بالترجمة لابن وهب صاحب "الجامع"، غير أنها ترجمة مقتضبة، اقتصر فيها على أصول فقط.

ثم وصف المخطوطة المعتمدة، وأظهر مادتها، وخطها ومسطرتها وناسخها وتاريخ نسخها، ثم رواية الكتاب التي جاءت عن طريق: عيسى بن مسكين عن سحنون بن سعيد عن ابن وهب المصري. وقام بالترجمة لهم.

وبيَّن اعتماد الناسخ في مقابلة النسخة على كتاب سحنون بن سعيد كأصل له، ثم على نسخة شيخه عيسى بن مسكين برواية سحنون، واستدرك بالقول أنه لم يعتمد على كتاب سحنون كله بل قابله بنصفها فقط، وبين موضع ذلك.

وختم دراسته هذه بالتقرير أن " هذا الجزء من تفسير القرآن من الجامع لابن وهب يعتبر اليوم- على حد علمي – من أقدم المخطوطات في علم تفسير القرآن بالمأثور، إن لم يكن أقدمها على الاطلاق"[10].

وقد أشار الدكتور إلى أنه بجانب التحقيق للنص" أشرتُ إلى بعض المواضع الأخرى في كتب التفسير وغيرها من كتب التراث، خاصة إذا وقعت فيها روايات لابن وهب عن شيوخه"[11]. وهذا ليس بقصد اعتمادها في تخريج النص، كما طالبه به الأستاذ تامر الجبالي في نقده على عمل الدكتور في كتاب "المحاربة" الذي سيأتي، إنما هو لبيان التوثيق والثبوت

وزيادة الاطمئنان في ذلك، لا لتخريج النصوص وإثبات فروق النسخ.

ثم أبان عن منهج ابن وهب في تفسيره هذا، وأنه لم يعتد بترتيب السور والآيات بل كان ترتيبه وفق شيوخه وطبقاته، فكان بذلك متنقلا بين الأسانيد وروايات شيوخه، وهذا ما ألجأ المحقق إلى وضع فهرس خاص بالآيات المفسرة مرتبة بحسب الترتيب القرآني المصحفي، وهذا صنيع إجادة ووِفَايةٍ يُشكر عليه.

وعرض الدكتور مجموعة من اللوحات للمخطوطة المراد تحقيقها، أتت في ستة لوحات، ختم بها دراسته للكتاب.

وخالف الدكتور موراني المنهج الاستشراقي في أسلوب التهميش وذكر تراجم الأعلام، بين مطالب بالإسهاب فيها، وبين مقتصر على الاسم واللقب وسنة الوفاة وبعض المؤلفات فقط، فجعل في نشرته هاته الترجمة للأعلام عبارة عن ذكر للاسم فقط، ثم مصادر ترجمته، مركزا على الذهبي في "سير أعلام النبلاء"، و"تهذيب الكمال" للمزي، فقد كان مكثرا من الإحالة عليهما.

وقام المحقق بترقيم الآثار والأحاديث الواردة في الكتاب، مبتدئا من أول السطر، وهذا ما ساعده في وضع فهرس خاص بالأحاديث النبوية، والآثار السلفية.

كما خالف بعض رواد المدرسة الاستشراقية حينما جنح برأيه إلى عدم وضع اسم السور وأرقام الآيات داخل النص المحقق، وجعل لها رقما في المتن كإحالة، وبيانا في الهامش، خلافا لمنهج برجيستراسر مثلا الذي يقول: "ويصح أن نضع عدد السورة والآية في النص نفسه بين قوسين إما قبل الآيات أو بعدها، وذلك أبسط على المطالع من إلزامه بالتفتيش على العدد تحت المتن"[12].

ووضع المحقق في نهاية عمله هذا، فهارس ثلاث، الأول منها للآيات القرآنية، أقامه مرتبا بحسب الترتيب المصحفي، ويذكر رقم الآية ثم رقم الفقرة (الحديث أو الأثر)، ثم فهرس خاص بالأحاديث النبوية،مرتبا إياه هجائيا بحسب طرف الحديث، ثم ثلّث بفهرس الأعلام، وجاء بها مرتبة هجائيا مبتدئا بالأبناء ثم الآباء، "ابن"،" أبو"، وجعله على شكل كشاف مساعد على الوصول إلى مواضعها في النص.

ويعتبر هذا العمل من الدكتور موراني إسهاما جديدا لعلم التفسير عامة، ومنهج التفسير لدى السادة المالكية خصوصا، بل يمكن اعتباره أول تفاسير السادة المالكية على الإطلاق.

ثالثا: نقد الأستاذ تامر الجبالي[13] لعمل الدكتور موراني في كتاب " المحاربة " وقفات وتصحيحات:

في رسالته المعنونة بـــــــــ" كتاب المحاربة من موطأ ابن وهب" بتحقيق ميكلوش موراني، قام الأستاذ تامر الجبالي – وهو زميل الدراسة بمعهد المخطوطات بالقاهرة- بإصدارها وإخراجها لمنتديات عدة، ثم صدرت في مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة،ونشرت في المجلد 52، الجزآن 1 ، 2 /بتاريخ: ربيع الآخر - شوال 1429هـ/مايو - نوفمبر 2008م، وقام الأستاذ عصام الشنطي – رحمه الله تعالى- بتزكيتها- بحسب كلام الأستاذ تامر الجبالي في أحد المنتديات العنكبوتية-.

وإنصافا للدكتور موراني وللعلم من قبله، رأيت أن الأستاذ قد تحامل على الدكتور تحاملا شديدا، وصل به الأمر إلى الاستهزاء بالدكتور، ومنه غمط حقه ودوره في إحياء تراثنا العربي الإسلامي، وإن اختلفنا معه في بعض المسائل التي لا يُردُّ فيها إلا بمنطق العلم والأخلاق لا غير.

ثم إني عجبت من الأستاذ حينما عدَّ من أخطاء الدكتور وقام بتضخيمها، إبدال حرف العين في لفظة "عبد الله" بالهاء فوردت "هبد الله"، وغيرها من الأخطاء التي تُـــــــبرئ ساحة الدكتور موراني منها، للغته العربية المتقنة التي يكتب بها في كتاباته أو مشاركاته في المنتديات العلمية، والتي لا يسقط فيها صغار المستشرقين المبتدئين فضلا عن كبارهم. والناظر يلحظ ذلك.

وقد قسم الأستاذ تامر رده على الدكتور موراني وفق محاور خمس، لنا معه فيها وقفات وتصحيحاتتأتي وفق المحاور التالية:

المحور الأول: عنوان الكتاب:

قال الأستاذ تامر: كما مرّ جاء عنوان الكتاب: « كتاب المحارَبَة من المَوَطَّأ »، وقد تابعَ المحقّقُ غلافَ النُّسْخة في هذه التَّسْمية. ومعلوم أن المسلمين لم يعرفوا صفحة العنوان في أول عهدهم بصناعة الكتاب، ومع هذا فقد كانوا يتركون الصفحة الأولى بيضاء، « وكان الناسخون الذين يقومون بنسخ الكتب عن أصولها يضيفون عنوان الكتاب واسم مؤلّفه على الصفحة الأولى في بعض الأحيان، وكان بعضهم ينسخ الكتب كما هي دون أن يضيف إليها شيئاً، وبعد فترة من الزمن يأتي مَن يُضيف العناوين بخطٍّ مخالف لخطِّ النُّسْخة ومتأخّر عنه كما الحال في كثير من المخطوطات القديمة ».

ومتابعة العنوان المثبت على غلاف المخطوط دون لبس - من الأخطاء فتابعته لذلك يعتبر المحقق لم يطلع على
صحة العنوان بكل وسيلة ممكنة، وإذا طلعنا ذلك على كتابه وأدعى النظر، وجدنا المخطوط عنوانه كما
يلي:

« ما جاء في المحارب والقاطع للسبيل - ما جاء في قتل المرتدة - باب في قتل الفئوية - باب في الردة عن الإسلام
- باب في المرأة ترتد عن الإسلام - باب الزنادقة - باب في سب النبي صلى الله عليه وسلم وتولاه - باب في قتل
المختار - باب في ضرب العبيد وجراحاتهم ».

وجعل هـــذه الأبواب لا تدخل في كتاب المحـــاربة، عند المالكية وغيرهم، بل بعض المالكية لم يعتبروا أحكام
المحاربين في كتاب مستقل، إنما وضعوها في باب من كتاب الحدود، والأبواب الواردة في النسخة تؤيد بل لا تكون
كتاب الحدود ؛ فكان الأولى أن يُسمّى الكتاب: « قطعة من الموطأ، لعبد الله بن وَهْب »، أو « بعض أبواب
الموطأ، لعبد الله بن وَهْب ».

أقول: لنا وقفات ثلاث مع نص كلامه هذا:

أولا: نقضُ صحة العنوان بفرضية أن يأتي آخر بعد فترة من الزمن ويضيف العناوين بخط مخالف لخط النسخة، ضرب
من الوهم الذي سيجرك للتشكيك في معظم المخطوطات العربية الإسلامية وعناوينها، كما أن فرضية أن لا يأت هذا
الآتي موجود، وأن النسخة الأولى - الأم - كانت مدونة بهذا العنوان، فلجأ المحقق لإثبات ما وجده مثبتا على النسخة
سواء كانت من صنيع أحد النساخ أو من صنيع صاحب الكتاب، وله أن يعتقد مبحا صغيرا عن ذلك بالأدلة
والبراهين، إثباتا أو نفيا.

ثانيا: قول الأستاذ تامر: فكان الأولى أن يُسمّى الكتاب: « قطعة من الموطأ، لعبد الله بن وَهْب »، أو « بعض
أبواب الموطأ، لعبد الله بن وَهْب »، لأن جل أبواب الكتاب لا تدخل في كتاب المحاربة

أقول: ليس له أن يضع من عنديته عنوانا خاصا للكتاب، وإن كنت لا أجيزه للدكتور موراني، فلم نجوز ذلك
لنفسك؟!!!

ثانيا: قد أثبت المحقق ما وجده مثبتا على غلاف المخطوط، وهذا أرجح وأوثق من أن يضعه من تلقاء نفسه
وباختياره، لأنه تدخل سافر في المخطوط عند أهل الصنعة التحقيقية.

كما أن الدكتور موراني قد غلّب أحكام المحاربة في الكتاب على غيرها من الأحكام، لذا أطلق تلك العنونة على وجدها في اللوحة الخارجية من المخطوط، ولأن وصف وحكم القتل غالب في أحكام المحاربة، فرأى الدكتور أن واضع العنونة قديما من أن شبهه كبير مطابق للقتل في الحرورية والقدرية و المرتد وغيرهم.

وقد ألّف كثيرا في موضوع تحقيق المحاربة وضوابطها ومدارها، إن استصحب أنها إخلال بالنظام في المجتمع وجعل الناس في مخافة وقلق ووحشة، وإزالة الأمن العام، وهذه الفرق وأحكامها الخاصة بها، تدخل ولو من بعيد في أمر المحاربة لشبهها بالحكم الذي هو القتل.

فإن احتج الدكتور موراني بالذي ذكرناه، أو الناسخ الذي وضع تلك العنونة، فله ذلك ومن حقه، إذ أجزت لنفسك أن تضع أنت العنوان، فكما يجوز لك أفلا يجوز لغيرك؟!!!

ثالثا: لأن الأستاذ تامر الجبالي متخصص في التحقيق وخريج معهد المخطوطات، لا أخاله يغيب عنه أن الهوامش التي كتبها في رسالته التي رد بها على الدكتور موراني، لا تمت بأي صلة بصنعة وفن التهميش والهوامش، ومثاله كثير في رده هذا، نذكر منها:

1: حينما ذكر أن الدكتور موراني طلب من القراء المبادرة إلى تصحيح أخطاء نشرته، وضع لها هامش أسفل الصفحة،وجاء فيه:(ص14/س11).(هكذا)، ولنا أن نتساءل بعد ذلك، أين عنوان النشرة، ومؤلفها، ثم دار النشر، ومكان النشر، والسنة والطبعة، وهي أمور ملزمة إن كان الرد أكاديمي علمي.

2: في نقله لكلام الدكتور عبد الستار الحلوجي عن إضافة العناوين من طرف بعض النساخ، جعل الأستاذ تامر هامش النقل كالتالي: الدكتور عبد الستار الحَلْوَجِي، « المخطوط العربي » (ص157). (هكذا)، ويقال فيه ما قيل في رقم 01.

وسنأتي على صنيعه هذا في كل محور من المحاور.

المحور الثاني: النسخة المعتمدة:

يقول الأستاذ تامر: ... ولا يوجد مسوّغ علمي لطبع جزء من الكتاب مع وجود أجزاء غيره تحت يد المحقّق، وقد نصَّ الدكتور موراني على وجود هذا الجزء الآخر فقال (ص 171 س 10، 11 في ترجمة اللَّيْث): « لـــه كتاب مسائل في الفقه، ذكره ابن وَهْب في كتاب القضاء في البيوع من مُوطَّئه (مخطوط القَيْروان) ».

أقول: ليس من لازم وجود أجزاء أخرى للكتاب المراد تحقيقه أن يُحقَّق جميعا أو يترك جميعا، فقد يختار المحقق جزءا محددا بألواح معينة، أو بأبواب وكتب محددة، ويعمل عليها.فمن أين للأستاذ تامر هذا اللازم العلمي؟، وقد علم في بعض الدراسات الأكاديمية أنهم يشترطون عددا معينا من اللوحات، أو عددا خاصا من الأبواب إن كان حجمه كبيرا، أو حلُّ مغالقه عسيرا.

ثم تحت هذا المحور يقول الأستاذ: ومعلوم أن نَشْر أي كتاب على نسخة واحدة لا يجوز عند المثبّتين من أهل التحقيق والضَّبْط إلا في حالات معينة، وبشروط مخصوصة في تحقيق هذا النوع.

أقول: الجزم بالتحريم التحقيقي، وأن لا يجوز نشر أي كتاب على نسخة واحدة، أمرٌ فيه ما فيه من الجرأة و عدم التثبت، لأن الأصل في هذا النوع من المخطوطات الإخراج ولو بنسخة واحدة، خاصة إن كانت ذات فائدة وقيمة علمية، ثم تُعدَّل وتقابل إن أخرج لنا الدهر نسخة ثانية، بهذا أفتى- على حد قوله لا يجوز- لنا الدكتور فؤاد سيد، والدكتور عبد الستار الحلوجي وغيرهم، والسؤال: من هم هؤلاء المثبتين من أهل التحقيق والضبط الذين قالوا بقولتك أستاذي؟.

ويمكننا القول بأن الأسباب التي دفعت الدكتور محمد سليم سالم- مثلا- إلى إعادة تحقيق كتاب "تلخيص الشعر" لابن رشد الذي سبق أن نشره فاوستولازينيو سنة: 1873م بمدينة بيزا الإيطاليةاعتماده في طبعته الأولى على مخطوط واحد، وهو مخطوط ذائع ومعروف، ولكن الكشف عن مخطوط آخر محفوظ بمكتبة الجامعة بمدينة ليدن، يبرز ظهور تحقيق جديد، ولو تتبعنا الأستاذ تامر وشروطه لما رأينا لكتاب "تلخيص الشعر" أي وجود.

ونفس القول حول كتاب " السنَّة " للخلال، الذي ليس له إلا نسخة واحدة؛ وهي التي اعتمدها الدكتور عطيه بن عتيق الزهراني محقق الكتاب، وقد أشار لهذا الأمر في المقدمة ص:59.

وكذا كتاب "المنازل والديار " للفارس أسامة بن منقذ، والذي ليس له إلا نسخة واحدة،والذي أشار إلى وجود تلك النسخة المستعرب الروسي كراتشكوفسكي – عضو المجمع العلمي العربي بدمشق- و الكتاب حققه: مصطفى حجازي، وصدرت طبعته الأولى في القاهرة سنة: 1387هـ - 1968م.

وفي الشروط المخصوصة في تحقيق النُّسخ التي لا أخت لها يقول الأستاذ تامر:

"مقابلة نصوص الكتاب مع نُقُول المتأخرين عنه، وهذه المسألة مهمة جدا.لأن هذه النُّقُول تقوم مقام النُّسَخ المساعدة في ضبط النصّ، وفي هذه الحالة يجب أن يُراعِيَ المحقّق أي اختلاف بين النُّقُول والنَّصِّ الأصلي، فسيجد أحيانًا زيادة،

أو نقصًا عند بعض المتأخّرين، وربما وجد المحقّقُ النقلَ موافقًا للأصل، وبالتتبُّع الدقيق للقراءات المختلفة يتبيّن للمحقّ
أن النُّسَخ التي اعتمد عليها فلان وفلان من المتأخّرين فيها زيادة على الأصل الذي معه، أو نقص منه".

وسؤالي للأستاذ: وهل يثبت فروق النسخة الأم ونصوص تلكالنُّقول في عمله أم لا؟ إذ المعلوم أن فروق النسخ لا
تكون إلا بنسخ مماثلة للتي نحن بصدد تحقيقها أو ما أشرت إليه أنت بالقول: أخت.

أجاب الأستاذ تامر بالقول: "وفي أثناء ذلك العمل يجب على المحقّق أن يثبت كل الفروق بين الأصل ونُقُول
المتأخّرين، حتى يصل إلى:

1- تقييم النُّسْخة (الأصل)، ومعرفة مدى ضبطها.

2- إقامة النصّ، إذا كان الأصل ليس في الدرجة العليا من الضَّبْط."

وهذا القول من إثبات الفروق بين الأصل ونقول المتأخرين في هامش العمل، لم يقل به أحد من أهل الصنعة
التحقيقية- على حد علمي- لأنه يتطلب من المحقق عملية استقراء ومسح لكل من أخذ من هذا الأصل الذي نحن
بصدد إخراجه، وهو متعذر.

وأوافقك الرأي في أن هذا العمل مساعد في ضبط النص وقراءته، ولكن لا يعدو ذلك.

المحور الثالث: تاريخ النسخة:

أولا: يقول الأستاذ تامر الجبالي حول ترجيح الدكتور موراني لتاريخ النسخة ما نصه:

"رجّح المحقّق أن النُّسْخة كُتبت في بداية القرن الثالث الهجري. وهذا فيه نظر؛ لأن البراهين التي ذكرها ملخصها أن
هناك سماعاتٍ قديمة على النُّسْخة لرُواة الجزء. ومعلوم أن الناسخين، ولا سيما طلبة العلم، كانوا ينسخون السَّماعات
والإجازات والتَّعْليقات المثبَتة على الأصل، وهذا الأمر لـــه أمثلة لا حصر لها، ففي كثير من الأحيان ينص الناسخ
على أنه وجد سماعات على الأصل ثم يقول: « وهذه صورتها »، ثم يقوم بنقلها".

وأقول: يبقى ترجيح الدكتور موراني قائم، على أساس أنه لم يجد ما نصصتَ عليه من أنه في كثير من الأحيان ينص
الناسخ على أنه وجد سماعات على الأصل ثم يقول: « وهذه صورتها »، ثم يقوم بنقلها.

فلما لم يجد هذا القيد بقي الأصل، وهو أن تلك السماعات والإجازات وغيرها تبقى رهينة وحبس الزمن الذي وجدت فيه النسخة أو كتبت فيه، ولو عمم هذا القيد التشككي لما سلمت نسخة ولما استطعنا بيان زمن أي نسخة من النسخ.

ثانيا: يقول الأستاذ: أمَّا قولـــه في وصف الخطّ:« كوفي قلدم من طراز قيرواني » اهـــ، فغير صحيح، والصحيح أنه (خط مغربي رديء، وفي مواضع رديء جدًّا)، حتى إن الناسخ لا يطّرد في رسم الحرف الواحد على هيئة واحدة (وذلك في بعض الحـــروف).

ويكفي في هذا المقام أن يقال للأستاذ: ليس بطريقة رسم **بعض الحروف** في النسخة يحكم بنوع الخط، وللفائدة فإن الخط المغربي يختلف في بعض رسوماته لبعض الحروف بين القيروانية والقروية والزيتونية وهكذا، وإن كان الأصل هو التشابه.

"كما أن الخط الكوفي قد تطور تطوراً مذهلاً، حتى زادت أنواعه على سبعين نوعاً، كلها ترسم بالقلم العادي على المسطرة، و لم يعد وقفاً على الخطاطين، فقد برع فيه فنّانون و نقاشون ورسامون، وغير مهتمين بالخط، بل برع فيه كثير من هواة الرسم والذوق،وابتكروا خطوطا كثيرة له منها: الكوفي البسيط، والكوفي المسطّر- ويسمى :المربع، أو الهندسي التربيعي- والخط الكوفي المسطّر المتأثر بالرسم، والخط الكوفي المسطّر المتأثر بالفلسفة، والخط الكوفي المتشابك، والكوفي المتلاصق، والكوفي المورّق. الذي قال عنه الخطاط كامل البابا: (لقد نفخ الخط العربي في الحرف الحياة، وحوّله من جماد إلى نبات، تنبثق عنه أغصان وأوراق وأزهار. والخط الكوفي المزخرف، والمزيّن، و المظفور، **والكوفي الأندلسي** والخط الكوفي الفاطمي، والكوفي الأيوبي، والكوفي المملوكي "[14].

يقول الدكتور أحمد شوقي بنبين: "الكتابة القيروانية: الكتابة المغربية الأصلية، تولدت في القيروان عاصمة المغرب في القرن الثاني الهجري، من الخط الكوفي مباشرة و لم تقتبس من النسخ الحجازي "[15].

ولي بعد ذلك أن أسأل الأستاذ تامر: هل لك أن تميز بين هذه الأنواع للخط الكوفي كلها، فإن كان نعم، فانظر فعساه: كوفي قيرواني.

كما أن الأجدر أن تضع صورة للوحة من لوحات النسخة ليكون الأمر بحثا بين الباحثين.

ثالثا: يقول الأستاذ تامر حول الكتابة في الرق: أما كَوْنُ النُّسْخة كُتبت على الرَّقّ، فهذا لا يعني القدم [illegible] فقد ظلّ أهل المغرب يكتبون على الرُّقوق حتى القرن التاسع وربما العاشر، وأهل المغرب يعرفون ذلك، يقول ديروش: فلم يعد الرَّقُّ يستخدم تاريخيًّا إلا في المغرب الإسلامي، حيث ظلّ نُسَّاخ المخطوطات أوفياء له تراجع عددها، حتى القرن الثامن الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وربما أيضًا حتى القرن التاسع الهجري[1].

وجعل الأستاذ الهامش كالتالي: المدخل إلى علم الكتاب العربي المخطوط بالحرف العربي، فرانسوا ديروش، نقله إلى العربية د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتُّراث الإسلامي، لندن 1426هـ / 2005، (ص 78).

لأصحح بأن عنوان كتاب فرانسوا ديروش هو: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي.

وليس: المدخل إلى علم الكتاب **العربي** المخطوط بالحرف العربي. هذا أولا.

أما ثانيا: من أين للأستاذ تامر أنهم المغاربة قد ظلوا يكتبون على الرُّقوق حتى القرن التاسع **وربما العاشر**. لأن الدكتور فرنسوا ديروش حينما ذكر القرن التاسع ذكره بصيغة التمريض "ربما"، وأنت جاوزته متأكدا ثم انتقلت إلى القرن العاشر، وهذا خطأ بيّن.

أما عن كون النسخة المكتوبة في الرق لا تعني القدم، فقد أصبت وأجدت، وهذا ما لا يخالفك فيه المحقق موراني ولا غيره، إذ لم يبن الدكتور قِدم النسخة على كون أنها كتبت على الرق فقط.

المحور الرابع: النص المحقق:

يقول الأستاذ تامر حول قضية الأخطاء الطباعية ما نصه: "لم أستثن الأخطاء الطباعية، وهي كثيرة، لأن المحقق نصَّ نصًّا صريحًا على أنه قام بتحقيق النُّسْخة، وكتبها على الحاسوب بنفسه فأخرجت على الصورة التي بدت للقارئ".

ولكن الأستاذ الجبالي لم ينتبه إلى أنه هناك أخطاء أخرى لا يتحمل تبعاتها المحقق، وإن كتب النسخة على حاسوبه وهي أخطاء الصف في دور النشر، ويكفيك للاستدلال عن ذلك بما كان يرويه لنا الأستاذ الراحل عصام خليفة أثناء محاضراته عن أخطاء الصف الكارثية في مكتبة دار الكتب العلمية وصنيع يقفون في ذلك.

ثم قال الأستاذ تامر: "وقد نبّهت على أهم الأخطاء التي تضرُّ بالمتن المحقَّق، وتُخِلّ المعنى".

لأقول: قد اشترط الأستاذ على نفسه التنبيه على الأخطاء التي تضرُّ بالمتن المحقَّق، وتُخِلّ المعنى، والمتتبع فيما أورده الأستاذ خلاف ذلك البتة.

1: يقول الأستاذ الجبالي: " نجد على غلاف النشرة اسم المؤلف كتب بخط تفاوت هذا الضبط: « عبد الله بن وهب ومسند عن مُسْلِم القُرَشِيّ »، أي إنه ضبط كلمة (وَهب) بفتح الواو والهاء، وتسكين الباء، وكذلك ضبطها على الغلاف الداخلي للنشرة. وهذا الضبط غير صحيح، وصوابه (وَهْب) بفتح الواو وتسكين الهاء، وبعض الباحثين وقف على هذا **خلاف في هذا الضبط**".

لو توقف الأستاذ في تخطئة المحقق في ضبطه لاسم المؤلف لسُلِّم له، أما أن يقول: ولم أقف على خلاف في هذا الضبط، فهذا ما لا يرتضى.

قال في الصحاح (1/ 235): وهبتُ له شيئاً وَهْباً ووَهَباً بالتحريك، وقريب منه في "تاج العروس"(1/507)، ونقل الجوهري (236/1): أن وَهْب بن مُنَبِّه تسكين الهاء فيهأفصح، وفي "التاج"(509/1): وأمّا وهْب بن منبه المشهور فإنّه بالتسكين وهو الأفصح، **وقد يحرّك**.

فلم الجزم والجرأة وعدم الإنصاف؟!!!. كما أنه لي أن أسأل: وهل هذا مما يضر بالمعنى أو يخل بالمعنى على ما اشترحت آنفا؟

2: يقول الأستاذ تامر: " قال (ص:20 ،س:6): « وإن أخذه الإمام من قبل توبته ونَروعه، رأى فيه رأيه ... ».

اهـ.قلت: قولـــه: (ونَروعه) لعلها: « ورجوعه »".

قلت: بل هي يَروعه كما أثبتها المحقق، وهي بمعنى رجوعه، من فعل رَاعَ الإنسانُ أو الحيوان رَيْعًا : عاد ورجع بعد وَعَظْتُه فأبى أن يَرِيع، وهربت الإبلُ فصاح عليها الراعي فراعَتْ إليه. و انظرها في القواميس وفيها كثيرة

3: يقول الأستاذ تامر: " قال (ص:39) السطر الأخير: « يخرجون على خير فُرْقة من الناس » بضم الفاء، وقد تتبعتُ كل ألفاظ الحديث فوجدتُ أن الروايات اختلفت في (خير فرقة) على أقوال:

منهـــا: « يخرجـــــون على حين فُرْقة مِنَ النـــاس »، وهي رواية البخـــــاري (3411) ومسلم

ومنها: « يخرجون على حين فترة مِنَ الناس »، وهي رواية الطبراني والبـــــزار ... ومنها: « يخرجون على خَيْرِ فِرْقة مِنَ النّاس »، قال الحافظ ابن حجر (الفتح 6/(619)): وفي رواية الكُشْمِيهَني « على خير » بحاء مهملة وراء، أي أفضل، و « فِرقة » بكسر الفاء، أي: طائفة، وهي رواية الإسماعيلي اهـــ

ولم يُشِرْ إلى الخلاف في اللفظ، مع أنه خرّج الحديث، وأنى إلا أن يحرّفها بضم الفاء!

قول: تصويب الأستاذ الجبالي كان فيه مجيدا، غير أنه لا نرتضي منه اتهام الدكتور بتقصد التحريف، وليسعنا القول: فليُستدارك الأمر في الطبعات القادمة، إذ أنه خطأ في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما لا نرتضيه.

4: وأصَّلَ لقاعدة عجيبة جعلها من المعلوم المشهور فقال:"ومعلوم أن ترتيب المراجع يجب أن يكون بحسب وفيات مؤلفيها".فمن أين لك هذا اللازم وهذه المعلومة التي جعلتها شبه اتفاق بين أهل الصنعة؟؟؟.

وما رأي الأستاذ فيمن جعل ترتيب قائمة المراجع بهذه الطرق:

1:طريقة الترتيبالألفبائي حسب أسماء المؤلفين

2: تقسيم القائمة قسمين: أحدهما: يحتوي على المصادر حسب الترتيب الأبجدي لأسماء مؤلفيها، وثانيهما: يحتوي على المراجع حسب الترتيب الألف بائي لأسماء مؤلفيها أيضا.

3: طريقة تصنيف المصادر والمراجع حسب الموضوعات التي تعالجها، وترتيبها داخل كل تصنيف وفقا للترتيب الألفبائي.

4: طريقة الترتيب حسب نوع المصدر أو المرجع، وهذه الطريقةلها أساليب متعددة كالآتي:

أولا:الكتب.ثانيا: الدوريات.ثالثا:متنوعات.

أو وفقا للأسلوب الآتي:

أولا: المستندات العامة.ثانيا: الكتب.ثالثا: الدوريات.رابعا: التقارير.خامسا: الأبحاث غير المنشورة.سادسا: مصادر أخرى.

وإذا كانت المراجع أو المصادر بعدة لغات، فينبغي ذكر كل مجموعة بشكل مستقل عن المجموعة الأخرى، مثل :- المصادر والمراجعباللغة العربية -.المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية-.المصادر والمراجع باللغة الفرنسية وهكذا.

5: يقول الجبالي:"(ص:48، س:8،9): ذكر ثلاث آيات من سورة الصافات دون أن يفصل بين الآيات؛ وذلك لأنه لا يكتب الآيات برسم المصحف، وهذا عيب ولا يصحُّ. وانظر الحاشية (رقم93) وفهرس الآيات (ص113)".

والناظر في كثير من مخطوطات التراث العربي الإسلامي، ليجد الكثير منها لا يكتب الآيات القرآنية برسم المصحف، وانظر في ذلك نسخ مخطوط "انوار التنزيل" للبيضاوي وحاشية القاضي زاده وغيرها- على اعتبار ممارستي وتحقيقي

لها-، فهل لنا أن نعد هذا عيبا ولا يصح في حقهم؟ أم أن الأمر يتعلق بشخص الدكتور موراني... لا أحاله إلا كذلك.

6: يعلق الأستاذ تامر على سقطٍ وقع للدكتور موراني بالقول: "قال (ص:49، س:5): « استشارني عمر بن عبد العزيز فقال لي » اهـــ.قلت: في صورة المخطوط (ص21: مقدمة، س21:): « استشارني عمر بن عبد العزيز فيهم فقال لي »، فأسقط كلمة (فيهم).

أقول: قوله: فأسقط كلمة (فيهم)، تدل على التقصد وإرادة الإسقاط، أما أن تكون سقطت سهوا ونسيانا وزلة كتابة، فهذا محال ومتعذر، والسبب أنه مستشرق، تلصق به كل تهمة. ولنا أن نتساءل: لم أسقط الدكتور موراني كلمة (فيهم)؟ تراه أراد إخفاء أمر عقائدي أم فقهي أم ماذا ؟!!!

7: وما بقي في من ملاحظات في هذا المحور عزفت عنها، إما لأن نبرتها نبرة شدة وتسويد- كما أكثر منها هو في رده على موراني- وإما رأيت في بعضها أن الحق فيها للأستاذ تامر وهي حقا أخطاء وقع فيها الدكتور موراني.

المحور الخامس: الفهارس:

1: يقول الأستاذ تامر:" أما فهرس الأعلام المترجَم لهم: فلا أُراه إلا تسويدًا للكتاب، وليس فيه أية فائدة، فقد شَغلت بعض التَّراجم أكثر من صفحة، كترجمة عبد العزيز الماجِشُون".

أقول: لكل محقق منهج خاص يمليه عليه نوع الكتاب الذي هو بصدد نشره، ووضع فهرس للأعلام المترجم لهم، لا أراه تسويدا للكتاب كما زعم الأستاذ، بل أراه زيادة بيان وحرص واهتمام ونفع أفاد بها المحقق نشرته، وسهل به على المستفيد من كتابه، وهذه هي لب صنعة الفهارس.

وقد نبَّه أهل الصنَّعة التحقيقية على هذا الأمر مرارا وكرار، في كتبهم حول التحقيق ومميزاته، في فن الفهرسة بالضبط.

2: يقول الأستاذ الجبالي:" قال في ترجمة ابن قُسَيط، وأنقلها بنصِّها، قال: « كان فقيهًا ثقة، وكان ممن يُستعان به على الأعمال لأمانته وفقهه. وكان كثير الحديث » اهـــ.

وعندما قرأتُ هذه العبارة قلتُ في نفسي: مَن تراه من علماء الجرح والتعديل يقولـــها. فلم أجد جوابًا. ولما رجعت إلى ترجمة الرجل، وجدتُ هذه العبارة في « تهذيب الكمال »، وسياقها كالآتي: « قال إبراهيم بن سعد عن محمد ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قُسَيط وكان فقيهًا ثقةً، وكان ممن يُستعان به على الأعمال لأمانته

وفقهه. قال الواقدي وكاتبُه محمد بن سعد ومحمد ابن عبد الله بن نُمَيْر ومحمود بن خالد والترمذي ... سنة ثنتين وعشرين ومئة. زاد ابن سعد: بالمدينة، وكان ثقة كثير الحديث » اهـ.

ومحمد بن إسحاق وكذلك ابن سعد لا يُكترث بأقوالهم في الرجال إذا كان عندنا قولٌ للإمام أحمد أو لأبي حاتم أو لأبي زُرْعة أو ابن مَعين، فما بالُنا إذا خالفا هؤلاء الأئمة المعتبرين! وعلى كلٍّ فابن قُسَيط قال فيه الإمام أحمد: صاحِبُنا ليس عندنا بذلك، يعني: يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، كما نقل ابن حجر عن ابن حِبَّان أنه قال: ربما أخطأ وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالقوي. اهـ. فالدكتور موراني ليس لديه أولوية في نقل أقوال العلماء!"

أقول: عجبت حقا من هكذا تأصيلات وتقعيدات،الموحّدُ فيها مدرسة الرجل وترجيحاته الحديثية، فقد عَلِم الأستاذ من كلام موراني أنه أجمل القول وركّبه فيترجمة ابن قُسَيط، بالقول: " كان فقيهًا ثقة، وكان ممن يُستعان به على الأعمال لأمانته وفقهه، وكان كثير الحديث". وهي ترجمة مركبة من مجموع كلام صاحب"تهذيب الكمال"، وابن سعد صاحب "الطبقات". وهو صنيع مشهور عند أهل الصنعة الحديثية، وانظر "سير أعلام النبلاء" ترى منه الكثير. فعلام يعجب الأستاذ تامر من صنيع موراني في نشرته، وقد سبقه لها الكثير.

ثم إن قولكم " ... ومحمد بن إسحاق وكذلك ابن سعد **لا يُكترث بأقوالهم في الرجال إذا كان عندنا قولٌ للإمام أحمد أو أبي حاتم أو أبي زُرْعة أو ابن مَعين**، فما بالُنا إذا خالفا هؤلاء الأئمة المعتبرين"...إن قولكم هذا نسفٌ لمراتب علماء الحديث وطبقاتهم، وأن القول دوما بأقوال من ذكرت وأحكامهم، وأن علم الجرح والتعديل عليهم هم الثلاثة فقط قائم. ونعلم أن ابن سعد في نفس طبقة ابن حنبل، أي من المعتدلين.

ثم أن الدكتور موراني ليس بصدد التجريح والتعديل، بقدر ما هو بصدد التعريف وأقوال الأئمة فيهم، فجمع وركب دون ترجيح أو تبيين.

ثم وجب علي تنبيهكم إلى الهامش الذي وضعتموني ترجمة يزيد بن عبد الله بن قُسَيط حيث كتبتم :" العلل ومعرفة الرجال (215/2)"(هكذا) . وهو ليس هامش عند أهل الصنعة التحقيقية.

3:يقول الأستاذ تامر عند ترجمة المثنى ما نصه:" يقول في ترجمة المثنى (ص172): اختلفوا فيه، قال بعضهم إنه كان ضعيفًا، وقال آخرون يُكتب حديثه ولا يترك. اهـ.قلت- تامر-: يبدو أن المحقق فهم من قولهم: يكتب حديثه أن ذلك يعني توثيقًا مطلقًا للراوي.

قلت: بل يفهم منه ما قاله الذهبي في "الميزان":من أن قول الدارقطني «لا يُترك»: «ليس بتحريج»[17]. ومنقول أبي حاتم «يُكتب حديثه، ولا يُحتج به» أي يُكتب حديثه في المتابعات والشواهد، ولا يُحتج به إذا انفرد.

فليس بتحريج مطلق، ولا توثيق مطلق.

4- يقول الأستاذ عند ترجمة مسلمة بن علي:"قال في ترجمة مسلمة بن علي (ص176): « أسقط الحارث بن مسكين اسمه في الأسانيد عند روايته للكتاب بسبب ضعفه » اهـ.....إلى أن قال: "كما أن الحارث بن مسكين، ثقة ثبت، لا يصحُّ قدحُه إلا بدليل".

قلت: وقد بحثت في كتب الجرح والتعديل عن هذه التزكية بهذا اللفظ" ثقة ثبت" ولم أجدها، والذي وجدته قول الذهبي في "السير": وقال يحيى بن معين:لا بأس به.وقوله: الحارث بن مسكين خير من أصبغ، وأفضل، وقال النسائي ثقة مأمون[18].

ولنا أن نسأل الأستاذ: من أين لك بهذه التزكية وهذا اللفظ؟ ولما أنكرت على الدكتور ما أنت فاعله؟!!!

5- ولنا أن نقول أيضا في ختام هذا المحور، أن الأستاذ الجبالي نسي ترقيم صفحات رسالته الموسومة بالرد العلمي، لذا بقيت حائرا في كيفية الإحالة على كلامه.

كما لا نغمط حق الأستاذ تامر، بأن نقول أن مجموعة كبيرة من نقداته الموضوعية كانت صائبة وفي محلها، ونتم عن علم وفقه في التحقيق، غير أن فيها من الملاحظات ما قد بيناه، وهذه هي صنعة الإنسان، أكانت عربية إسلامية أم غربية استشراقية.

خـــــاتمة:

لا يعرف فضلَ أهلِ الفضل إلا أهلُ الفضل، والشكر عبادة، بهذا المنطق وحده لن يُـــــغمط حق الدكتور ميكلوش موراني، وأمثاله من رواد المدرسة الاستشراقية وعملهم وسعيهم في نشر تراثنا العلمي المالكي.

ولا يمنعنا هذا من التنبيه والتصويب لما نراه نحن في عقيدتنا ومنهجنا خطأ أو تأويلا أو تحريفا، ولكن بمنطق العلم والأخلاق لا غير.

كما لا يُعدم الأستاذ الجمالي شكرا على غيرته وسعيه للتنبه والتصحيح، فبضاعته العلمية تؤهله لذلك، غير أن الإنصاف مطلب عزيز، حتى مع المشتغلين بتراثنا من المستشرقين القدامى والمعاصرين.

وككل جهد بشري فقد يعتري هذا العمل بعض الأخطاء، والعذر أني في طريق العلم أسير، وأختم بما ختم به الدكتور مقدمة تحقيقه لجزء "تفسير القرآن" من "الجامع" لابن وهب بأن أقول كما قال:

ودفاعا عن الذات لا يسعني إلا أن أقول: الكمال غاية لا تدرك.

والحمد لله رب العالمين

الهـــوامش:

1: كتاب: "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" للأستاذ أغناطيوس كراتشكوفسكي (1883-1951م) يقع في حوالي 900 صفحة، وقام بترجمته إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، ويبدو من مقدمة المترجم أنه قام بهذا العمل الكبير سنة 1961م، أما الناشر للكتاب فهو: ع. تسرتيلي، G. Tsereteli ويبدو من مقدمة المؤلف أنه أنهى عمله هذا في موسكو في: 1943/10/10م، وقد صدر عن الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية في مجلدين.

2: من محاضرة ألقتها الدكتورة في الموسم الثقافي في الكويت عام: 1957م، وقد طبعت ضمن كتاب "محاضرات الموسم الثقافي الكويتي".

3: نفس المرجع.

4: نفس المرجع.

5: حيث قال في ترجمته المقتضبة في حواره الذي أجراه مع إدارة موقع ملتقى أهل التفسير الإلكتروني: وأصبحت مصر وبالتالي المكتبة الأزهرية المكتظة مخطوطاتها محط أنظار محمد عبد الغني حسن فبقي أولا للنظر فيها أولا وتوفي عام 1968م.

6: من حوار: حول الواقع المعاصر للدراسات الاستشراقية مع المستشرق الألماني د. ميكلوشموراني، على الموقع الإلكتروني: ملتقى أهل التفسير. http://www.tafsir.net/vb/forum17/thread3015-3.html

7: من مقال للدكتور نعم الدين الهتالي في موقع الإلكتروني: التاريخ العربي.

8: وما تم إحصاؤه كان استقراء من تحقيق "الجامع في الحديث" للدكتور مصطفى حسن حسين محمد، في مذكرته للدكتوراه بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وقد طبعت بدار ابن الجوزي سنة 1996م.

9: الجامع تفسير القرآن، ابن وهب المصري، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب، بيروت، ط: 01، ت: 2003م، ص: 12.

10: نفس المرجع، ص: 22.

11: نفس المرجع، ص: 25.

12: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، برجستراسر، تقديم: محمد البكري، دار المريخ، الرياض، دط، ت: 1982م، ص: 112.

13: الأستاذ تامر الحبالي، أبو أسلم، صديق وحبيب، تعلمنا سويا في معهد المخطوطات بالقاهرة، وكان له اشتغال بالتراث الحديثي، ومحمات حامية على الاستشراق وأهله، تغلب فيها الحمية على الإنصاف، وهو الآن باحث بالمعهد.

14: كيف تعلم الخط العربي، معروف رزيق، دار الفكر، بيروت، ط:06، ت: 2010م.

15: معجم مصطلحات المخطوط العربي(قاموس كوديكولوجي)، أحمد شوقي بنبين/ مصطفى طوبي، الورقة الوطنية، مراكش، ط:03، ت:2005م، ص: 293.

16: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، فرانسوا ديروش، نقله إلى العربية د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتُّراث الإسلامي، لندن، ت: 1426هـ / 2005م، ص: 78.

17: ميزانالاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت،ط: 01، ت:1995م، ج:02، ص: 40.

18: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط:01، ت: 1422هـ / 2001م، ج: 12، ص: 56.

قائمة المصادر والمراجع:

1: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، برجيستراسر، تقديم: محمد البكري، دار المريخ، الرياض، دط، ت: 1982م.

2: الجامع تفسير القرآن، ابن وهب المصري، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب، بيروت، الطبعة الأول، سنة: 2003م.

3: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط:01، ت: 1422هـ / 2001م .

4: كتاب "المحاربة" من "موطأ" الإمام ابن وهب المصري، ميكلوش موراني، دار الغرب، بيروت، الطبعة الأول، سنة: 2002م.

5: كتاب المحاربة من الموطأ، لابن وهب، بتحقيق ميكلوش موراني، تامر الجبالي، موقع الألوكة، دط، دت دم.

6: كيف نعلم الخط العربي، معروف رزيق، دار الفكر، بيروت، ط:06، ت: 2010م.

7:لمحة تاريخية سريعة حول تحقيق التراث ونشره، وإسهام إيران في ذلك، الشيخ عبد الجبار الرفاعي، مجلة تراثنا العددان الأول و الثاني [41 و 42] السنة الحادية عشر / محّرم - جمادي الآخرة 1416هـ.

8: المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، فرانسوا ديروش، نقله إلى العربية د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتُّراث الإسلامي، لندن، ت: 1426هـ / 2005م.

9: ميزانالاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت،ط: 01ت:1995م.

مواقع عنكبوتية:

× http://www.tafsir.net/vb/forum17/thread3015-3.html

× http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad29partie7.htm